



إسلام : مستقبل السلفية بين الثورة والتغريب الدكتور شارل سان برو

المؤلف: الدكتور شارل سان برو

دار النشر: روشيه (Rocher)، باريس، 2008، 620 صفحة.

شارل سان برو (Charles Saint-Prot) هو دكتور في العلوم السياسية، ومدير معهد الدراسات الجيوسياسية في باريس ومجلة دراسات جيوسياسية، ومحاضر في كلية الحقوق بجامعة باريس ديكارث. له العديد من المؤلفات في الجيوبوليتيكا والعلوم السياسية والعالم العربي والإسلام.

في هذا الكتاب المرجعي، يطرح د. شارل سان برو رؤية جديدة عن الإسلام. وهو يقدم مداخلات ضرورية لفهم الفكر الإسلامي بشكل أفضل، وفتح حوار مثمر مع دين يجمع قرابة مليار ونصف مليار من أبناء آدم وبنات حواء. يقول د. سان برو في تقديم كتابه: " يهدف كتابي هذا الى الرد على الهجمات اللامبررة والتضليلية ضد الإسلام والى محاولة تصويب الأفكار. والواقع ان العالم الغربي يجهل حقيقة الإسلام. ولهذا السبب، يستعصى عليه فهمه. واعتقادي أن أول هدف يقوم على الحث على فهم أفضل لحقيقة الفكر الإسلامي، وعلى تبيان انه لا يمكن الخلط بين الإسلام وتيارات أقلوية تتميز بالمذهبية الثورية أو الإرهاب. لهذا السبب، كرست قسماً لا يستهان به من كتابي لدراسة العقيدة الإسلامية وللتعريف بالتطور الفكري والاجتماعي- السياسي والقانوني للفكر الإسلامي منذ القرون الأولى للإسلام حتى يومنا هذا. وقد بينت أن الإسلام هو ديانة توحيدية تدرج في استمرارية الديانتين التوحيديتين الأخريين. فالهدف الرئيس لكتابي هو الحث على فهم الإسلام، اذ بفضل الفهم والمعرفة يمكن العمل على السير قدماً في حوار الحضارات. أقول ينبغي فتح حوار مثمر مع دين يجمع مليار ونصف رجل وامرأة".

ويوضح د. سان برو ان الجماعات المنحرفة والسنية والجاهلة قد استغلت عبارات إسلامية كثيرة وعمدت إلى تحريفها. ويحاول المتطرفون الثوريون والمنحرفون إضفاء مظهر إسلامي براق على أنشطتهم مستخدمين عدداً من العبارات التي أصبحت رهينة لديهم ، كالسلفية والجهاد، الخ. ويبين المؤلف انه من الأهمية بمكان التوضيح ان هذه ليست سوى اختلاقات، والتذكير بحقيقة معنى هذه العبارات. وهذا ما يتيح التأكيد ان الإسلام لا علاقة له بالتعصب او التطرف. كما يلفت د. سان برو الانتباه إلى أن الإسلام هو دين التسامح، ودين الوسط (تيمناً بقول الرسول "خير الأمور الوسط").

ويرجع سان برو الحقيقة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهو يكتب بهذا الصدد " ثمة الكثير من الأكاذيب المختلفة حول فكر الشيخ عبد الوهاب. ومن المهم التذكير بأنه لم يكن زعيم مذهب ولا حتى زعيم ملة، بل هو مفكر سلفي ينتمي إلى المذهب الحنبلي. انه احد أوائل المصلحين الحداثيين. ففي الحقبة التي تراجعت فيها جذوة الإسلام، دعا الشيخ عبد الوهاب إلى التجديد مرتكزاً في ذلك على العودة إلى سيرة السلف. إنها الصحوة التي حث عليها عبد الوهاب الذي تأثر بحركته الإصلاحية الكبرى كل من الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا. ويضيف البروفسور الفرنسي انه من الضروري، في أيامنا هذه، أن تنتشر الحركة الإصلاحية التي تحمل في طياتها الدعوة إلى اعتماد الاجتهاد في العالم الإسلامي لمواجهة تحديات عالم الحداث. إن الرد على هذه التحديات ليس بالإرهاب الذي يذكرنا بتعصب الخوارج، ولا بالتغريب الذي يعني فقدان الهوية الإسلامية والتخلي عن القيم الخاصة بالإسلام. الرد هو بالاجتهاد الذي يرتكز على إيجاد حلول تتكيف مع المشاكل، بل على احترام قيم وعقيدة الإسلام.

كذلك يؤكد د. سان برو ان العلمانية هي إيديولوجيا غربية غير شمولية. ويدافع عن فكرة أن كل دين هو "دين ودنيا". لأن الدين هو ما يربط بين البشر ويوحي بقيم المجتمع. كما يؤكد أيضا أن كل الحضارات ارتكزت على الأديان.

ويتطرق المؤلف إلى ايديولوجيا صدام الحضارات، فيبين ان صدام الحضارات هو ايديولوجيا ولدت من رحم الولايات المتحدة التي أرادت أن تجعل من الإسلام كيش المحرقة لتبرير تحركاتها الإمبريالية في العالم العربي- الإسلامي. ويؤكد البروفسور سان برو ان ما يهدد العالم ليس صراع الحضارات، بل العولمة التي تنحو باتجاه المادية والفردانية وفقدان القيم الأخلاقية والروحية. إن جميع الحضارات مهددة بالمادية. لذا عليها أن تتكاتف وتتجاوز للمحافظة على قيمها وعلى التنوع الثقافي في العالم. ويجب على المثقفين ورجال الدين والجامعيين المسلمين والمسيحيين أن يكتفوا لقاءاتهم ويتحاوروا فيما بينهم. يجب ان نحبي العمل الذي قام به الملك عبد الله، عاهل المملكة العربية السعودية فيما يتعلق بحوار الحضارات والحوار بين الأديان. ومن الأهمية بمكان أن يكرس خادم الحرمين الشريفين الجهود لتطوير العلاقات بين العالم المسيحي والعالم الإسلامي. ويجب تأسيس منتدى للحوار الإسلامي – المسيحي يلتئم بصورة منتظمة ويلعب دوره إزاء وسائل الإعلام ورجال السياسة بهدف تطوير الحوار. يجب أيضا أن تركز المناهج التعليمية والتربوية في البلدان الغربية المزيد من المجال لدراسة موضوعية للإسلام وحضارته وفكره. واعتقد، في المقام الأول، أن دور الأكاديميين (الجامعيين والمثقفين هو الأكثر أهمية في تشجيع المعرفة والحوار".

وفي خلاصة كتابه، يبرهن د. سان برو ان الإسلام هو في خدمة كل الإنسانية لأنه يدافع عن كرامة الإنسان وعن القيم الروحية التي يحتاجها كل البشر.